* إذا ذهبت إلى مخزن، وتمكن صاحبه من بيعك ما أنت بحاجة إليه فهذه براعة، أما إذا تمكن من بيعك ما لست بحاجة إليه فهذه عبقرية.

قول سيامي

□□

## وصية أبو إسحاق الأبيري لابنه

يوصي ولده ويحثه على طلب العلم:

أبا بكر دعونك لو أجبت
إلى ما فيه حظك لو عقلتَ
إلى علم تكون به إماماً
ويهديك الطريق إذا ضللتَ
لئن رفع الفتى لواء مال
لأنت لواء علمك قد رفعتَ
لئن جلس الفتى على الحشايا
لأنت على الكواكب قد جلستَ
وإن ركب الجياد: المسومات
لأنت مناهج التقوى ركبتَ
ومهما اصطاد أفكار الغواني
فكم بكرٍ من الحكم اصطدتَ

ويقول له مبيّناً له فضل العلم:

يـنـالـك نـفـعـه مـا دمـت حـيـاً
ويـبـقـى ذكـره لـك أنـى ذهـبـتَ
هـو سـيـف الـمـهـنـد لـيـس يـنـبـو
تـصـيـب بـه مـقـاتـل مـن أردتَ
وكـنـز لا تـخـاف عـلـيـه لـصـاً
خـفـيـف الـحـمـل يـوجـد حـيـث كـنـتَ
يـزيـد بـكـثـرة الإنـفـاق مـنـه
ويـنـقـص إن بـه كـفـاً شـددتَ
فـلـو قـد ذقـت مـن حـلـواه طـعـمـاً
لآثـرت الـتـعـلُّـم واجـتـهـدتَ
ولـم يـشـغـلـك عـنـه هـوى مـطـاعٌ
ولا دنـيـا بـزخـرفـهـا فـتـنـتَ
ولا لَـهـاك عـنـه أنـيـق روضٍ
ولا خـدر بـرقّـتـهـا كـلـفـتَ

❑❑

## بيع إنسان العيون

ذُكر أن أحد العلماء ضاقت به الحال واشتدت به المؤونة ما اضطره إلى بيع كتبه (فحينما يبيع العالم كتبه وكأنما فقد فلذة كبده)، فأحدهم اضطر إلى بيع كتاب الجمهرة لابن دريد، وقيل أن الشريف الرضي قد اشترى هذا الكتاب، فلما فتحه وتصفحه وجد عليه بعض أبيات في الشعر يقول فيها:

أنِستُ بها عشرين حولاً وبعتها
لقد طال وجدي بها وحنيني
وما كان ظني أني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شؤوني

ولله در القائل:

استعر مني قلبي
لكن ليس كتبي
فكتابي أنا وحبي
وصعب فراق حبي!

□□

## منهجنا في العقيدة

يقول د. عصام البشير في الأسماء والصفات: نقول المذهب الحق عندنا: هو إنما نثبتُ لله ما أثبته لنفسه. نصفُ الله ﷻ بما وصف به نفسه وبما وصفته رسله من غير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل ولا تمثيل، ليس كمثله شي، إثبات بلا تكييف وتنزيه بلا تعطيل، من قال خلاف هذا فقد أخطأ جادة الصواب.

□□

## تعداد الشيطان
## ـ عليه اللعنة ـ في القرآن الكريم

يقول عبد الكريم الخطيب في تفسيره المسمى التفسير القرآني للقرآن (1/ 51): «ويتحدث القرآن في ثمانية وستين موضعاً عن الشيطان، بلفظ المفرد (الشيطان) وفي أحد عشر موضعاً بلفظ الجمع (الشياطين)، وفي جميع هذه المواضع يجيء الحديث عن الشيطان والشياطين في مقام التحذير من الضّلال والغواية للإنسان من كيد الشيطان».

❑❑

## أصحاب الدعوات

يقول الأستاذ محمود عبد الحليم: إن أصحاب الدعوات لا ينبغي أن نسوي بهم العباقرة، فالعبقرية لا شك إحدى صفاتهم، لكنهم صنف من الناس أوتوا بصيرة نافذة، وقلوب حية واسعة، وألسنة تنطق بالحكمة البالغة، فهم يرون ما يعجز الناس عن رؤيته... ومع ذلك فهم قادرون على الناس بما يرونه مما لا يراه الناس... والناس يقتنعون بكمال خلقهم قبل أن يقتنعوا بقوة حجتهم، وطلاقة ألسنتهم. تجلس إليهم وأنت غير مكترث إلّا بنفسك بل قد تكون لاهياً هازلاً، فتحس بعد قليل أن تياراً دافئاً أخذ ينساب في داخلك فيشيع الدفء في جنباتك ثم لا يلبث هذا الدفء أن تشتد حرارته حتى أن حرارته لتذيب جمود نفسك وتشعل في أعماق قلبك آمالاً

كانت خافية تحت أطياف من الثلوج.

هذا في أصحاب الدعوات أياً كانت، أما إذا كانت الدعوة في ذاتها تحمل كل معاني الحق والصدق، فإن شخصية الداعية تكتسب من صدق دعوته قوة على قوة.

❑❑

## طريقة القرآن في الرد

يقول الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في إحدى تعليقاته على تفسيره للقرآن العظيم المسمى «أولى ما قيل في آيات التنزيل»:

يتبع القرآن الكريم في إثبات مدعياته والحمل على مقرراته طرقاً ثلاثة:

1 ـ الدليل الإقناعي: مثل نفي الإمكانيات والقدرة عما يعبدون من دون الله وإثباتها له سبحانه وسع معانيها، والألوهية مبنية على النفع في أعماله تعالى وآثاره العظيمة التي تتجلى فيها قدرته العليا ولا نشعر بها لما لنا معها من ائتلاف، كإثبات الحب وإعادة الربيع كل سنة، وكإيجادنا من النطفة.

2 ـ الإغراق الوجداني: وذلك بتعداد النعم التي أسداها لبني الإنسان في الأنفس والآفاق ويلفت نظرهم إليها.

3 ـ البرهان المنطقي: ومنه المنع للمفتريات الشركية وتحديهم عليها بطلب الدليل العقلي والنفسي كقوله

تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[1] وتراه يمزج الأدلة العقلية باللفتة العاطفية ويوجه العقول والعواطف معاً لهداية الإنسان وخير الإنسانية[2].

❑❑

## القرآن أقوى

بمناسبة مرور مائة عام على احتلال الجزائر، وقف الحاكم العام الفرنسي يخطب فقال: يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقطع اللسان العربي من ألسنتهم.

ومن أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت فرنسا بتجربة عملية: قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية وعلمتهن اللغة الفرنسية ولقنتهن الثقافة الفرنسية فأصبحن كالفرنسيات تماماً، وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون. ولما ابتدأت الحفلة... فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري.

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذاً بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً؟

---

(1) سورة فاطر، الآية: 40.

(2) مقدمة التفسير، ص: 26.

أجاب (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسية: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟

ترى ماذا كان سيقوله الجنرال (لا كوست) لو عاش أيامنا هذه؟[1]

❑❑

## الإسلام والخلافة

بعد الانتهاء من الحرب العالمية الثانية وهزيمة الدولة العثمانية، ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد الصلح بين المتحاربين، اشترطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحبَ من أراضيها إلّا بعد تنفيذ الشروط التالية:

1 ـ إلغاء الخلافة الإسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.

2 ـ أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

3 ـ أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

4 ـ أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها من أحكام الإسلام[2].

فنفذ (كمال أتاتورك) الشروط، ولما وقف (كرزون)وزير خارجية إنجلترا في مجلس العموم، استعرض ما جرى في

(1) عرب ومسلمون للبيع، ص: 184.

(2) عرب ومسلمون للبيع، ص: 186.

تركيا، احتج بعض النواب بعنف على كرزون واستغربوا كيف اعترفت إنجلترا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب (كرزون): لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم... لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة! فصفق النواب كلهم وسكتت المعارضة، لكن خاب ظنهم وصدق قائلهم: إن الإسلام بدأ ينفث الغبار عن نفسه وعن الأتراك[1].

❑❑

## عائلة الاستبداد

يقول الشرّ: أنا الشر وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر وأختي الممسكنة، وعمي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر، وابنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب، أما ديني وشرفي وحياتي فالمال... المال... المال[2].

عبد الرحمٰن الكوكبي

❑❑

## تفتيت الوحدة الإسلامية

يقول (لورانس) في تقرير سري رفعه إلى المخابرات البريطانية في 1916 بعنوان (سياسة مكة: الأهداف الرئيسة لبريطانيا وللغرب عامة) فيقول ما ترجمته بالحرف الواحد:

(1) المصدر نفسه، ص: 186.

(2) عرب ومسلمون للبيع، ص: 97.

. . . أهدافنا الرئيسة: تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها. . . وإذا عرفنا كيف نعامل العرب - وهم الأقل وعياً للانسلاخ من الأتراك - فسيبقون في دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتناثرة غير قابلة للتماسك، إلّا أنها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية (الوقائع السرية في حياة لورانس العرب)[1].

□□

## الحقيقة المرة[2]

أمني أهل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلمِ
أتلقاك وطرفي مطرق
خجلاً من أمسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثاً
بقبابا كبرياء الألم
أمتي كم عضة دامية
خنقت نجوى علاك في فمي
أي جرح في آبائي راعف
فاته الأسى فلم يلتئم

(1) عرب ومسلمون للبيع، ص: 72.
(2) هذه الأبيات للشاعر الدبلوماسي عمر أبو ريشة.

رب وامعتصماه انطلقت
ملء أفواه البنات اليتم
لامست أسماعهم لكنها
لم تلامس نخوة المعتصم
فدعي القادة في أهوائها
تتفانى في خسيس المغنم
أمتي كم صنم مجدته
لم يكن يحمل طهر الصنم[1]
لا بلام الذئب في عدوانه
إن بك الراعي عدو الغنم

❑❑

## بالأرقام

يقول أحد علماء الاقتصاد واسمه «بول كروجمان»: إننا نعيش في عصر أو زمن التوقعات، في الوقت الذي ينفق فيه الشعب الأمريكي سبعة مليارات من الدولارات سنوياً على إطعام الكلاب وعلاجهم، ويوجد (37) سبعة وثلاثون مليون أمريكي لا يتمتعون بنظام التأمين الصحي يعيشون تحت مستوى الفقر.

تقول مجلة تايم:

(1) الصنم: نجس لا طهر فيه لا رمزاً ولا واقعاً.

* قبل نهاية هذا القرن... يكون في الولايات المتحدة عشرة ملايين مواطن مصابون بالإيدز.
* وفي مجلة تايم الصادرة 9 ديسمبر 1989، تقول هذه المجلة تحت عنوان (أطفال يحملن أطفالاً): وفي كل عام يحمل أكثر من مليون بنت أمريكية مراهقة ـ المراهقات فقط ـ وبين كل خمس منهن يحمل أربع منهن سفاحاً.
وفي تقرير لابنة الرئيس السابق ريجان واسمها (مورين) تقول: إن في الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة عشر مليون من الأطفال لا آباء لهم.
* وفي تايم العدد33 لسنة 1997 تقول المجلة: إن عدد المصابين بالشذوذ الجنسي من بين أفراد القوات المسلحة الأمريكية يتراوح بين مائة ألف ومائتي ألف من الجنسين. وفي العدد نفسه وفي صفحة (43) تقول المجلة: إن عدداً كبيراً من الكرادلة من كبار رجال الكنيسة الكاثوليك يمارسون الشذوذ الجنسي فيما بينهم.
* وقد نشرت صحيفة (سيدني مورننج هرالد) الأسترالية تقريراً خطيراً عن شذوذ الجنس ومباركة رجال الكنيسة له، بل إن مقر هؤلاء الشواذ يقع في (الكنيسة المتحدة) التي قدمت كل التسهيلات.
* هؤلاء الشواذ تحت رعاية رئيس الكنيسة الذي صرح بأنه من أشد المعجبين بهؤلاء الشواذ الذي يعتبر نفسه واحداً لكل منهما.

* وفي هولندا . . . عقدت الكنيسة زواج رجل برجل ما دام هذا يحقق السعادة لهما.
* وفي تقرير لصحيفة (الديلي مايل) البريطانية أن الإحصائيات تشير إلى أن 80% من الرهبان والراهبات يمارسون الزنا، وأن 40% منهم شواذ.

إلى أين تتجه أوروبا؟ هل تذوي وتنحل؟[1]

❑❑

## العمل والإتقان

قال أحدهم لشيخ الإسلام ابن تيمية: إن فلاناً حفظ صحيح البخاري، فأجابه: «زادت نسخة أخرى في البلد، ومن الحكمة أن لا نزيد عدد النسخ من البخاري بل أن نستخرج منه ما ننتفع به وننفع».

داء الشرق الاتكال، وداء الشرق قلة الاحتفال بالكفاءات الموجودة، وداء الشرق إهمال التنظيم، وداء الشرق قلة الدؤوب والملل من الإتقان، فهل تصح نياتنا على معالجة هذه الأدواء لنستوي أمة رشيدة يكون لها الحق في الحياة على اختلاف مظاهرها، وهل نتعلم أن البكاء لا يجدي، وأن التمجد بالباطل لا ينتج، وأن العظمة الحقيقية بممارسة العمل؟[2].

❑❑

(1) عرب ومسلمون للبيع، ص: 172.
(2) المذكرات، كرد علي، (1/ 200).

## الصداقة

الناس درجات في الصداقة ودرجات في العداوة، فمنهم معارف قضت حالة من الحالات أن تعرفهم، فليس لك مع هؤلاء أن تزعم أو يزعمون لك أن بينكما صداقة، ومنهم من عرفتهم فراقَكَ (فأعجبك) سَمْتَهم فصحبتهم صحبة وقتية لم تدخل في الصميم. ومنهم من كانوا لك بمثابة الأخ والوالد والولد.

وهكذا يقال في العداوات: فمنها عداوة من تعرض عنه لا تحب أن تصاحبه، ومنهم من قد تضطرك الحال إليه، وكلاكما يكنُّ لصاحبه عداوة فأنتما لا تتحابان ولا تتعاديان علناً، ومنهم من تجاهره ويجاهرك العداوة، لا تبالي لأن أقل ما يبيته لك مما يسؤوك، وأدنى ما يضمره ثلمك وسلبك[1].

قالوا: خص بالبلاء من عرفته الناس، بل خص بالبلاء من عرف الناس، وكيف لا تهزأ برجل لا يسأل عنك إلّا إذا كان له مغنم يحاول أن تعينه على أخذه أو فائدة خسيسة يتوقع استحصالها وهو يدَّعي صحبتك؟

وتمضي السنون، ولا يراك ولا يسأل عنك إلّا إذا واجهك بالعرض في الطريق أو في أحد المجالس، ولا يزورك إلّا في وقت يختاره ولا يناسبك، وقد يستغرب أنه لم يجدك، وأنت ليس بينك وبينه موعد، كأن مقامك يقضي عليك أن تكون تحت الطلب أبداً لترضيه وترضي غيره. وعندي أن من كانت

(1) المصدر نفسه (1/ 209).

هذه حاله هو أحد رجلين: إذا كان متعلماً مهذباً يعامل غير معاملة الجاهل الذي لم يتهذب، وهذا يضحك من عقله ويقال له ما قاله الشاعر:

إذا مـا تـمـبـمـي أتـاك مـفـاخـراً

فـقـل عـذ عـن ذا كـيـف أكـلـك لـلـضـب

جاءني رجل من جيراني لم أره في حياتي كان أهلي وأهله أصدقاء، فقلت له معاتباً: إني أسكن في جوارك منذ سبع سنين والآن تسأل عني مع معرفتك بصداقة أهلنا، ثم علمت أن زيارته كانت تجارية يريد أن يستنجدني فرفضت وتأففت ـ هذا خلق يلومني عليه أيضاً بعضهم ـ ذلك أن اعتادوا أن يداهن بعضهم لبعض إذا تراءت الوجوه، وأن يلعن بعضهم بعضاً في الغيبة، وأنا أمقتُ هذا الخلق الوضيع، يهمس كثيرون أنني ضنين بمالي، لا أشفع لكل من يقصدني ولو بالكذب عليه، حقيقة أنا لا أشفع لأي أحد ولا أحب التوسط لمن لا أعرفه، فالشفيع مسؤول عن شفاعته، فكيف تشفع لمن لا تعرف وشفاعتك شهادة فيه؟ وعلمني الدهر ألّا أوصي بمن يحاول أخذ وصايتي، وأكتفي بأن أقدم طالب الوصاية للموصى عليه فقط وهو وشأنه.

وصعب أن يُحب الخلق من يبدو لهم بهذا الخلق فالرعونة تغلب على صاحب الحاجة لا يهمه غير قضائها، وكثير من هذا الضرب من البشر يقرعون بابك بعد أن يكونوا قد قرعوا أبواباً كثيرة وما نجحوا، وصاحب الشرف يرى من الغضاضة أن تهمل وصاته، أو يتخذها من نكتب له حجة يخرجها ذات

يوم يتبجح بها.

وكثيراً ما سمعت من أستاذي الشيخ طاهر الجزائري أنه في اليوم الذي يجمع الناس على حبه يعتقد نفسه ساقطاً، ذلك لأن معنى الإجماع أن الممدوح ينافق كل إنسان، لا ينكر منكراً، ولا يدعو إلى معروف، وصاحب الإصلاح في العادة يمقته فريق، ويرضى عنه آخر، ومن أراد تطبيق ما يعلم، يتأفف منه السواد الأعظم.

ولقد نصحني أستاذي الشيخ طاهر الجزائري نصيحة بحفظ أوقاتي من الضياع، وفكري من البلبلة، وكان ذلك لما بدأت بتحرير جريدة (الشام) قال: إذا أحببت النجاح في هذا البلد فلا تلق بأذنك لما يقال فيك من خير وشر، وارم ببصرك فقط إلى الهدف الذي يعنيك الوصول إليه، ولا تلتفت ذات اليمين وذات الشمال، وإذا وضع لك واضع حجراً في طريقك فتنحّ عنه، وعد إلى سلوك محجتك. تقبلتُ هذه النصيحة، وما عبأت بعدها سماع أقوال المثبطين، ولا بمصانعة المداحين، وعرفت مع الزمن أن أصوات أهل هذه الفئة تضيع في الهواء كالهباء، وأنهم كسالى لا يعملون، ويشق عليهم أن يروا أحداً يعمل. وما كنت أردّ على من يناقشني، لئلا أدخل في أخذ ورد، فإن كان ما قاله مما ينفع أنقله وأنشره وأشكره عليه، وإن كان من الهُراء المعتاد أتحول عنه ولا أشغل الوقت بما كتب، وأكثر من جروا على هذه الطريقة إنما يكتبون للشغب والكشف عن المساوي، والظهور على الأقران. وكل صعلوك مغمور يحاول في العادة أن يشتهر بالنيل ممن هم أفضل منه، وما أفلح

من ساروا على هذه الطريقة ودخلوا في الاعتراض، وبعدوا عن الاشتغال بخويصة أنفسهم، الثرثارون والطعانون يقضون أعمارهم في حسرة ولا يأتون ما ينفعون به أنفسهم ولا غيرهم، ورأيت منهم جماعات ماتوا بغيظهم. ونصح لي أستاذي لما أصدرت مجلة (المقتبس) في القاهرة ألا ألتفت إلى المشاغبين ولا أكترث بهم وإن قلوا، فإن الحكيم من يسعى إلى تمام القصد، وأقل ما يستفيد المشاغبون إضاعة وقتي والوقت أثمن من أن أكترث بهم وإن قلوا، فالوقت ثمين، قال: أقبل إلى شأنك واعرف مقتضى زمانك، ولا يمنعك تنكيت المنكتين في تنبيهك على غلط فرط منك فيما سلف، كلما عثرت على شيء من ذلك في عدد فنبه عليه فيما يلي، فإن ذلك أقرب إلى الاعتماد على ما تكتب.

وأكثر العلماء الذين انتفع الناس بكتبهم كانوا على هذه الطريقة ولم يتنكبها إلا الحشويون ومن نحا نحوهم. وقال: أعرض عمن يبحث عن تفضيل بلدة على بلدة ونحو ذلك فإن مثل هذا من مباحث الحشوية، قال: وقد سألني منذ أيام أحد السياح عن حد المصري والسوري فقلت له: المصري من ينفع مصر، والسوري من ينفع سورية، وكل من نفع بلده فهو منه. فالمصري الذي ينفع سورية: مصري سوري، والسوري الذي ينفع مصر، سوري مصري، ومن لا نفع لديه لكلتيهما فهو ليس بمصري ولا سوري. وقد انتبهت أمريكا لهذه الحكمة الكبرى فجعلت كل من ينفع أمريكا نفعاً ما أمريكيًّا فنجحت.

حقيقة أن من نشأوا من أمة صغيرة لا ينظر إلى أعمالهم مهما

عظمت بالعين التي ينظر بها إلى من جاؤوا من أمة عظيمة[1].

❑❑

## منهج حياة

يقول محمد كرد علي في مذكرات: ومن طبعي إذا أقبلت الدنيا أن لا أسر بها، وإذا تخطتني لا أستاءُ. وما تطلعت إلى ما في أيدي الناس ولا حسدت ذا نعمة على نعمة، وكانت نفسي راضية كلما أغضبتني الأيام، ضاحكة مستبشرةً مهما قست الأزمات. وقع لي أن تعرضت حياتي للخطر مرات، ونجوت على أهون سبيل، ومن عادتي ألا أتوقى كثيراً (ومن التوقي عدم الإفراط في التوقي) وأستمد الرأي من أصحابي إذا وقعت في مأزق، إذا مرض الطبيب الماهر يحتاج إلى من يطبّبهُ، وكنت أهادنُ الخصم وأتعقل وأرجئ الحملة عليه إلى وقت تكون فيه قوتي المدافع والمهاجم متكافئة بعض التكافؤ.

❑❑

## الأفكار

الأفكار على كل حال عرضة للتبدل، خصوصاً بطول العهد وكثرة التجارب، والعقل هو الحاكم والحكم، لا العواطف والأحاسيس[2].

❑❑

(1) المذكرات، ص: 210 ـ 214.

(2) المذكرات، 1/ 228.

## إعمال العقل

كان أستاذنا الجزائري يحذرنا من القول إلّا بعد الاستثبات، ويبغض إلينا الاستنتاج إلّا إذا استوثقنا فيما لدينا من النصوص، ولا يُحبُّ أن نتوسع بإعطاء الآراء إذا لم نكن على بصيرة من صحتها، وكان التزيد في نقل الأخبار من أشد ما يسوؤه، ولا يحب الإكثار من تعليق الحوادث بما لا يفهم منها، وهو يريدنا أن نستعمل عقولنا قبل أن نشرع بالكلام[1]. ويقول جمال الدين الأفغاني ناصحاً أحد تلاميذه: عليك أن لا تصدر حكماً قبل درس وإمعان النظر.

□□

## الدهاء العجيب

قصَّ مصري عارف على أحد أصحابي قصةً عجيباً صدور مثلها من رجل قال: حاول جندي من جنود محمد علي الكبير مرة أن يغتاله بخنجر كان يحمله في كمه، ولما سدده إلى صدره اتقى ضربته بيده وقال له في الحال: قد عفوت عنك، وأنا أعرف بأنك تستحق الترقية وأن تكون ضابطاً، وقد رقيتك إلى رتبة كذا. فشكر وتهلل، وبعد قليل رقى به رتبة أخرى، فتزوج الرجل وتوسع في عيشه، ثم رقاه ترقية ثالثة فرابعة حتى وصل إلى رتبة عسكرية عالية وأتى به ذات يوم إلى حضرته، وقد أعد له سكيناً فقال له: الآن أقتلك، بعد أن تنعمت بنعيم الدنيا، لتفارقها أسفاً، ولو قتلتك يوم حاولت اغتيالي لقتلت

(1) المذكرات، 406.

بك صعلوكاً، وربما هانت عليك يومئذٍ مفارقة الحياة!

□□

## قصة أخرى

حدثني صديقي الأستاذ أحمد فهمي العمروسي أن الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله كان صديقاً للشيخ حسن الطويل الذي ظل طوال حياته مدرساً للغة العربية وعلوم الدين بمدرسة دار المعلمين بالقاهرة، وكان الشيخ حسن لاحظ مرة أن الشيخ محمد عبده أعرض عنه وتشاغل بحكم منصبه، فأحب أن يداعبه لما دخل محفلاً عظيماً كان يتصدره الإمام وقد دعاه للجلوس بجانبه مراعاة لعلمه ومكانته، ولكنه أبى واتخذ له مكاناً قصياً ثم حكى الحكاية الآتية معرضاً بأولي الحل والعقد:

قال: يحكى أن قرية من قرى الريف كان كل سكانها من القرود، وكان من عادتها أنه إذا مات العمدة لا يتسنّى لولده أن يخلفه إلّا إذا استطاع بدهائه وذكائه أن يعتقل أسداً، فلما مات العمدة خرج ابنه هائماً على وجهه ينشد أسداً يشد وثاقه.

فاتفق أن مر به أسدٌ فاستأذنه في الاقتراب منه دون أن يمسه بسوء فأذن له، وطمأنه على حياته، فقص عليه القرد الصغير قصته ورجا ملك الحيوانات أن لا يضن على أحد رعاياه المخلصين بخدمة جزئية كهذه، فقبل الأسد واشترط عليه أن يعود إليه عقب تعيينه عمدة فوراً ليفك وثاقه فوعده خيراً، ولكن نشوة الفرح بالوظيفة ملكت عليه حواسه وأنسته

وعده، وظل الأسد ملقىً في الخلاء غاضباً محنقاً إلى أن مرّ به كلب، فما كاد يقع نظره عليه حتى أطلق ساقيه إلى الريح وولى هارباً، فناداه الأسد وأمَّنه على حياته وطلب إليه أن يفك وثاقه ثم يذهب بعد ذلك حيث يشاء، فأسرع الكلب يفك رباط الأسد وحل وثاقه، ثم أراد أن يتظرف مع الأسد فدعاه ينزل عليه ضيفاً في تلك القرية تكريماً له وتشريفاً، فقال له الأسد: إنني أحرص على كرامتي من أن أنزل بأرضٍ القردُ فيها يربط والكلب يحل!

❑❑

## الدين نصيحة

رأيت المستنصحين على ثلاثة ضروب: ضرب يقبل نصح الناصح بدون مناقشة ويشكره عليه، وآخر يقبل بعضه ويغفل الآخر، وثالثاً لا يقبل من النصح ما يخالف هواه، وربما هزأ بالناصح وعاداه، وفي الناس من لا يرتاحون لكلامك إلّا إذا وافق ما في نفوسهم، ولا يسرهم إلّا كلام من يغشهم ويرائيهم، وقد وقع لي أن نصحت لبعض من استنصحوني فنجوا من سقطات كان فيها ـ لو لم يعملوا بالنصيحة ـ إفلاسهم أو حتفهم، وعهدي ببعضهم يعضون أصابعهم ندماً على تضييعهم الحزم وعصيانهم على النصح. ومن يزدرون بآراء أرباب التجارب هم في العادة من الخاسرين[1].

❑❑

(1) المذكرات (1/ 566).

## حسن واجب

لو أحسن كل فرد القيام بالواجب عليه لغدا سعيداً من أهنأ الخلق، ولو أنصف الناس أنفسهم بأنفسهم لقلّت حاجتهم إلى الوازع، ولما احتاجوا كل ساعة إلى من يهيمن عليهم، ولو انعدمت صفاقة الوجوه ما ادعى كسول علو الهمة ولا جاهل فضل العلم.

❑❑

## ذاكرة الزمان

تمر بالأمم والأوطان ـ كما تمر بالإنسان ـ أوقات نصر ورخاء، ولحظات هزيمة وشدة، ويكون للناس في هذه وتلك مواقف تكشف المعادن النفيسة والمعادن الخسيسة.

ولأن الكتابة ذاكرة الزمان، فإن القادرين عليها في كل جيل ومن كل قوم مؤتمنون على ما رأوا أن يَقُصُّوه بصدق وأن يحللوه بإخلاص، وأن يقوِّموه بمعيار ما يحقق مصالح الأمة وما يدرأ عنها المفاسد.

«لا يذل بلداً عسفُ الحكام بل استخذاء المحكومين، ولو أن كل محكوم شجّع نفسه فقاوم العسف لكان العنت الذي يصيبه من المقاومة أيسر من العنت الذي يناله من الضيم».

هكذا تحدث المنهوري.

ويقول أيضاً: «الصبر إذا تذرّع به الفرد فهو ثبات وقدرة على التحمل، أما إذا تذرعت به الأمة فهو خنوع واستسلام».

«ما رأيت أنكى من أن يتصدى للدفاع عن الحق رجل قام على الباطل»[1].

□□

## ليلة واحدة من ليالي القبر

لله در القائل:

والله لو عاش الفتى في عمره ألفاً من الأعوام مالِكَ أمره
متنعماً فيها بكل لذيذة متلذذاً فيها بسكنى قصره
لا يعتريه الهمُّ طول حياته كلا ولا ترد الهمومُ بصدره
ما كان ذلك كلُّه من أن يفي فيها بأول ليلةٍ في قبره

□□

## يا نفس

يا نفسي لا تغضبي ولا تعتبي، فقد عمّرت طويلاً ومتعت كثيراً، وهمت بصنع الخالق والمخلوق.

وحظكِ الحظ فما ألفت إلّا أولي النهي، وما حرصت إلّا على صداقتهم ولا اختلفت إلّا إلى مجالسهم، وما شاقك إلّا سماع أخبارهم، وكنت على الأكثر لا تصحبين إلّا من تستفيدين من كلمته وتجربته، وتفرين من الأحاديث الغثة.

هان عليك ما أنفقت في الضئيل من المعرفة التي كتب لك تحصيلها، وكان استغراقك ساعة واحدة فيما ولعت به،

(1) السنهوري نقلاً عن: شخصيات ومواقف.

يوازي في نظرك أكثر المسرات والشهوات.

درجتِ على بغض الفوضى وحب النظام، وآثرت ثورة الأفكار على ثورة السلاح، ووقفت في حساب يومك وغدك، وأيقنت أن لا مجد إلّا من طريق المعرفة، كان يلذ ما ينهال عليك من الضربات في تأييد حق وتقويم مائل حتى صار فيك خلقاً وجِبِلَّةً.

علمتكِ الأيام التحلم وما كنت حليمة، وزينت لك اللين وكنت جامحة، وأخذتِ من حوادث الدهر دروساً في الصبر والأناة بقدر ما سمح به مزاجك. وما أحببتِ أن تستثمري أحداً، ولا أن يستثمرك أحد.

يا نفس، الحقُّ مر والصادع به معذب، وصاحبه أبداً هدف طعن الطاعنين، ومن يحاول إصلاحاً وتجديداً فهو عرضة، ولا يكترثك هذا، فالمتعنتون ما اعتادوا أن يستجيبوا لأول صارخ يحاول زحزحتهم عن عقائدهم.

ومتى همَّ أرباب الأرواح الجامدة لمن يحاول إدخال روح جديد عليهم؟ والناس ما خلقوا كلهم عقلاء وحكماء.

ومن يحاول تهجين المعتقدات، والقضاء على الخرافات والترهات لا يطرب صوته كل سامع، أنت أردتِ العقل أن يجري طليقاً من القيود الثقيلة، وأصحاب الأهواء حبيب إليهم الجمود على قديمهم، والاكتفاء بما ورثوه من آباءهم وجدودهم، وما خطر ببالهم أن يُعملوا أفكارهم في اقتباس

الأصلح ولا أن يُتعبوا أنفسهم في إدراك ما لم يسبق لهم معاناته.

❑❑

## في رياض آية

يقول الدكتور عماد الدين خليل: (الحق أن في القرآن الكريم تعابير وكلمات، نمر بها حيناً مروراً سريعاً، فلا ندرك بُعدها الحقيقي، ولا نمد أبصارنا في أعماقها المدهشة. لكننا، بين الحين والحين، ووفقاً (لوضعيتنا) الذهنية.. وما أشد دهشتنا واهتزازنا ونشوتنا وحزننا وفرحنا عند ذاك..

وعند ذاك ندرك المعنى الحقيقي لقوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾[1] وإني أدعوكم لأن تجربوا بأنفسكم. لأن تذوقوا هذه الحلاوة، وتعاينوا تلك الدهشة، لكن فقط شرط أن تقفوا طويلاً أمام أية كلمة أو عبارة أو آية في القرآن تشد انتباهكم، وتطرح عليكم ألف سؤال وسؤال. ويقيناً ستقشعر جلودكم يومها.. ستدهشون وتهتزون، وتنتشون، وتحزنون وتفرحون، وستقولون لو لم يكن في القرآن إلا هذا لكفى به كتاباً من الله أنه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

* أيُّ سر كبير هذا يقوم عليه بناء السمٰوات والأرض؟

(1) سورة الزمر، الآية: 23.
(2) سورة الفرقان، الآية: 6.

* أيُّ سر شامل رهيب هذا الذي يتخفى وراء كتل الكون الرهيبة السائلة، وذراته الصغيرة المتناهية على سواء؟

* أيُّ سر عظيم هذا الذي يحيط وينظم ويوجه ويحرك خلق الله جميعاً في أبعد الآفاق وأقربها؟

* أيُّ سر عظيم هذا الذي يتفجر به وهج الشمس المحرق وتتساقط به ظلال الضوء القمري الحالم وتتنادى به وتهامس، وتومض، نجوم السماء؟

* أيُّ سر هذا الذي به نتنفس، ونأكل، ونمشي ونفكر، وتخفق قلوبنا، وتهتز أرواحنا؟

* ثم أيُّ سر هذا الذي به ـ وبه وحده ـ نضحك ونبكي، ونفرح ونحزن، ونحيا ونموت؟

هل نقول ـ متجاوزين ـ أنه سر التكوين الرياضي والطبيعي للكون.. والبيولوجي والفيسيولوجي للحياة.. والنفسي الميتافيزقي للروح؟ ومن ثم فإن الله الذي يعلم هذا (السر)، الله الذي هو صانع هذا (السر)، قدير في أية لحظة، وبقوة الكلمة المريدة، على أن (يفعل) ما يشاء تحليلاً وتركيباً.. تثبيتاً وتغييراً، في أية من هذه المساحات الكبيرة الثلاث (الطبيعة، والحياة، والروح)[1].

(1) بستان الفقراء ونزهة القراء، ص: 39، الإمام صالح بن عبد الله المعروف بالعاد، تحقيق يوسف أحمد/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان، ط1/ 2007م.

ونعود مرة أخرى إلى العبارة القرآنية المعجزة ﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

* وإذا ما أتيح لكم، عبر لحظات الصفاء النفسي، والهزة الروحية والنفاذ الذهني، أن تتأملوا أبعد النجوم في مساراتها وأحجامها التي لا يطالها الخيال، والتي ظلت تمارس دورها ضبطاً وحركة ونظاماً، ملايين الملايين من السنين الضوئية.

* وإذا ما أتيح لكم أيضاً عبر اللحظات نفسها، أن ترقبوا قلب بني آدم، هذه المضغة الصغيرة من اللحم، وهو يدق بانتظام وطمأنينة عشرين أو ثلاثين أو أربعين ألف مرة في اليوم، مما لا تبلغ عشر معاشرة أدق وأعظم ساعة في العالم. .

* وإذا ما أتيح لكم ـ كذلك ـ عبر اللحظات نفسها أن تلحظوا النبتة الصغيرة، وهي تشق قشرة الأرض لكي تستوي بعد قليل، على سوقها، خضراء، مرحة مطمئنة معطاء. .

* إذا ما أتيح لكم هذا وذاك. . ومئات غيرها مواقف الدهشة والإعجاب والنفاذ في صميم خلق الله وإبداعه وجماله. .

قدرتم على أن تقفوا أمام كلمات الله وجلين مقشعري

(1) سورة الفرقان، الآية: 6.

الجلود.. لأنه ﷻ ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1].

❑❑

## إنصاف المظلومين

الملك المؤيد: شمس الدين بن أيلم خان التركماني المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة، من ملوك الهند. كان عادلاً صالحاً فاضلاً، ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم. وإنصاف المظلومين وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً، وأهل الهند جميعاً يلبسون البياض، فكان متى قعد للناس أو ركب، فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ، نظر في قضيته وإنصافه من ظلمه ثم إنه أعيا في ذلك فقال: إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام، موضوعين على برجين هنالك في أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير فكان المظلوم يأتي ليلاً فيحرك الجرس، فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه، صرح به ابن بطوطة في كتابه.

❑❑

## أقوال في القمة[2]

- الماضي لا يذكر، والمستقبل لا ينتظر، ما في الوقت يعتبر، وهذا صفة العبودية.

(الشيخ أبوالفضل محمد السرخسي)

---

(1) الآفاق القرآنية، ص: 173 ـ 177، د. عماد الدين خليل، دار العلم للملايين/ بيروت/ لبنان - ط1/ 1979م.

(2) الاتصال بثقة/ داران بووهر. ترجمة/ د.مبارك الوزرة/ رافد/ مركز مهارات للتدريب. 2007م/ ط3

- الخير كله في بيت مفتاحه التواضع.
والشر كله في بيت مفتاحه الكبر.
من ذل في نفسه رفع الله قدره.
ومن عز في نفسه أذله الله في أعين عباده.

(يوسف بن حسين الرازي)

- من رأيت فيه خصلة من الخير فلا تفارقه، فإنه يصيبك بركاته، ومن نظر في سير السلف عرف تقصيره، وتخلفه عن درجات الرجال.

(حمدون القصار)

- لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب الشبع.

(ذو النون المصري)

- لأن ترد إلى الله ﷻ همك ساعة خير لك مما طلعت عليه الشمس.

(شفيق البلخي)

- من شغل مشغولاً بالله عن الله، أدركه المقت في الوقت.

(علي الفضائري)

- اللّهم من شغلني عنك، فاشغله بك عني.

(يحيى بن معاذ)

- على كثر حديثك، نسي الآخرون ما تقول.

(أناتول فرانس)

- أحياناً ينبغي أن تصمت إذا أردت أن يسمعك الآخرون.

(ستانلو جي. جي. )

- إن كان أمامي ثمان ساعات لقطع شجرة، فسأمضي ست ساعات منها في سن فأسي.

(إبراهام لنكولن)

- أصعب كلمة على الإنسان أن يقول: أنا مخطئ.

(قول مأثور)

- الحماقة هي أن تعرف أخطاء الآخرين، وتنسى أخطاءك، إذا جاءت النصيحة بعد فوات الأوان، فهي مثل الدواء بعد انقضاء الأجل.

(مثل دانماركي)

- عندما تقول العين شيئاً، ويقول اللسان شيئاً آخر، فإن صاحب الخبرة سيصدق لغة العيون.

(رالف والد وايميرسون)

- أقصر مسافة بين شخصين هي الابتسامة.

(فيكتور جورج)

- أكثر الناس خيراً أسلمهم للمسلمين صدراً.

(محفوظ بن محمد)

- قيمة كل إنسان بقدر همته، فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له، وإن كانت همته رضى الله، فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها.

(إبراهيم بن داود القصار)

- إن ساعة من التخطيط توفر عليك ثلاث ساعات من العمل.

(د. طارق سويدان)

- الأفضل أن تكون كالنحلة تأخذ من كل الثمرات أفضلها.
(عبدالحميد كشك)

- اذا أردت الحصول على شيء، فافعل أكثر من شيء.
(العالم النفسي صلاح الراشد)

- أعظم اختراع للبشرية هو الحروف الهجائية.
(ويل ديورانت)

- انس وجبة الطعام، ولكن لا تتجاهل فترة قراءتك.
(جيم رون)

- لو جاز لأحد أن يسأل مرتبة النبوة لكان الرضى بما دونها خور وضعف.
(ابن الجوزي)

لم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام
(المتنبي)

- لا يمكنك الوصول لأعلى مراتب الإيمان دون البدء بأدناها.
(عبد الله علي عبد الغني)

- «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلّا شانه».
(حديث شريف. رواه مسلم)

- من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه/ بطيء لكن مفعوله أكيد (قد يكون الأداء بطيئاً لكن النتائج أكيدة.)

- الهموم عقوبات الذنوب.
(أبو محمد الراسبي)

- علامات إعراض الله عن العبد: أن يشغله بما لا ينفعه.
(إبراهيم بن يوسف الزجاجي)

- حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجههم.

(الحسن البصري)

- رأس الأدب معرفة الرجل قدره.

(الفضيل بن عياض)

- لا تردن على أحد خطأ في محفل فإنه يستفيده منك ويتخذك عدواً.

(أبو عبيدة)

- إني لأسمع الحديث من الرجل، وأنا أعلم به منه، وأريه أني لا أحسن منه شيئاً.

(عطاء بن أبي رباح)

- أربعة آلاف كلمة في الشرثرة، أقل من أربع كلمات في الحكمة.

(الرافعي)

- احبس دمعك ودعه يختمر، حتى إذا انفجر منك الدمع يئن الحجر.

(الرافعي)

- ما ظلمت ضعيفاً إلّا أصابني من دمعه، ما لم يكن يصيبني من حد سيفه.

(الرافعي)

- ثلاثاً من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

(عمار بن ياسر ﷺ)

- أولى الناس بالعفو أقدرهم على التوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

(ابو عبيد الله الوزير)

□□

## اتقاء الذنوب

عن ابن شبرمة: عجبت لمن تحمى من الطعام والشراب مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

□□

## محاورة بين نبيين

حكي أن يحيى بن زكريا عليه السلام كان إذا لقي عيسى عليه السلام بدأ فسلم عليه، فيلقاه باسماً مستبشراً. ويحيى يلقى عيسى محزوناً، يشبه الباكي. فقال يحيى لعيسى: أراك تبتسم وتضحك؟ كأنك آمن؟ فقال له عيسى عليه السلام: أراك تحزن وتبكي كأنك آيس. فأوحى الله تعالى إليهما أن أحبكما إليَّ أكثركما تبسماً.

□□

## العجز

قال علي بن عيسى أحد وزراء بني العباس: العجز عجزان: التقصير في طلب الشيء وقد أمكن، والجد في طلبه وقد فات.

□□